سورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهى أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

سورة البقرة

(الٓمٓ) اختلف فيه وفى سائر حروف الهجاء فى أوائل حروف السور ، وهى : المصٓ ، والرٓ ، والمرٓ ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويسٓ ، وصٓ ، وقٓ ، وحمٓ ، وحمٓ عسقٓ ، ون . فقال قوم لاتفسر لأنها من المتشابه الذى لايعلم تأويله إلاالله ، قال أبوبكر الصديق : لله فى كل كتاب سرّ ، وسرّه فى القرآن فواتح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هى أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هى حروف مقطعة من كلمات : فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك فى سائرها ، وورد فى الحديث أن بنى إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التى تبقى هذه الأمة ، وسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبوالقاسم السهيلى عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف فى معناها فيتصور أن تكون فى موضع رفع أونصب أوخفض . فالرفع على أنها مبتدأ أوخبر ابتداء مضمر ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر ، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذى يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عندالله كقوله «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لاريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله فى نفس الأمر فى اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لاريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لاريب» والأول أرجح لتعينه فى قوله «لاريب» فى مواضع أخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لافيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفى الريب عنه . ولوقدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثمّ كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لافيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولوكان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أومبتدأ وخبره فيه ، عند مايقف على لاريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإسارة (للمتقين) مفتعلين من التقوى ، وقد تقدم معناه فى الكتاب ، فنتكلم عن التقوى فى ثلاثة فصول

الأول : فى فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهى خمس عشرة : الهدى كقوله «هدى للمتقين» والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولىّ المتقين» والمحبة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لايحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية » وتيسير الأمور لقوله « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ودخول الجنة لقوله « إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجى الذين اتقوا »

الفصل الثانى : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروى ، وخوف الدنيوى ، ورجاء الثواب الدنيوى ، ورجاء الثواب الأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة لقول القائل : —

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل : —

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتقى العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتقى المعاصى والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقى الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد ، وأن يتقى حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا فى فعيل : كميت ، والآخر يؤمنون فى حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق بيؤمنون وعلى الثانى فى موضع الحال ، ويجوز فى الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر مبتدإ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : علمها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها فى أوقاتها بالإخلاص لله فى فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع فيها ، وملازمة الجماعة فى الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة لاقترانها مع الصلاة ، والثانى أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص ، (والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إن الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبى جهل ، فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل ببدر من كفار قريش ، وقيل المراد حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه فى تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استئنافا للبيان ، أو للتأكيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة فى أأنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه ، والأول أبرع ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى ما بعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز باتفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز فى القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر فى الأصل ، والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام فى الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير فى يقول رعيا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم فى الآخرة مخلدون فى النار ، وأما فى الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين فى دمائهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فمذهب مالك : القتل ، دون الاستتابة ، ومذهب الشافعى الاستتابة وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية «وما هم بمؤمنين» جملة إسمية فهلا طابقتها ؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وآكد فى نفى الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ؛ فترك كذلك لالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم فى سلبهم من الايمان (يخادعون) أى يفعلون فعل المخادع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (وما يخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ فى المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف مفعوله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (فى قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون فى قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحود الكفر لقولهم آمنا ، أو اعتقاد أنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل ومايحتمل أن تكون كافة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أنؤمن) إنكار منهم وتقبيح (هم السفهاء) ردّ عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدى خلا إلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) بجملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملي لهم بدليل قوله «ويمدهم» وقيل يفعل بهم فى الآخرة ما يظهرلهم أنه استهزأ بهم كما جاء فى سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمدهم) يزيدهم ، وقيل يملي لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم فى الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز ، لما ذكر الشر ذكر مايتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) فى هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشري نفى الربح فى قوله : فما ربحت ، ونفى سلامة رأس المال فى قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل فى استفعل (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهبه ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الإفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم فى الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور ، وعذابهم فى الآخرة شبيه بالظلمة بعده ، والثانى : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون، والمستوقد المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون: فمعناه لا يرجعون إلى الهدى، وإن أريد به أصحاب النار: فمعناه أنهم متحيرون فى الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذى استوقد، والتقدير: أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين، والصيب: المطر، وأصله صيوب، ووزنه فعيل، وهو مشتق من قولك صاب يصوب، وفى قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه، قال ابن مسعود: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين، وقيل المعنى تشبيه المنافقين فى حيرتهم فى الدين وفى خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه، وهذا التشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة، فإن قيل: لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما فى الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فهو على هذا حقيقة فى المنافقين، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهى التى تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضا حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم فى خوفهم بمن جعل أصابعه فى آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد، فإن قيل: لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هى التى تجعل فى الآذان؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذى يجعل فى الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين: فهو بين فى المعنى، وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين: أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضىء البرق، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم، والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين: فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم فى الدنيا قالوا

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدّة أومصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلما ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراصاً على المشى ذكر معه كلما ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هى فى قوله تعالى : ذهب الله بنورهم » (يأيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس فى الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا (لعلكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون» أو بفعل مقدّر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجى فتأويله أنه فى حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطباع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت فى كلام الله تعالى (الأرض فراشا) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبعيض أو لبيان الجنس ، لأنّ الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء فى به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأنّ الماء سبب فى خروج الثمرات بقدرة الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء فى جواب اعبدوا ، والأوّل أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفى ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأوّل أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أوّلا ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأنّ الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأنّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم فى ملاطفة وخطاب بديع .

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ماعبد من دونه لقوله فى آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور : وهى : أنّ الله موجود ، لأنّ الصنعة دليل على الصانع لامحالة ، وأنه واحد لاشريك له ، لأنه لاخالق إلا هو «أفمن يخلق كمن لايخلق» وأنه حىّ قدير عالم مريد ، لأنّ هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لاتصدر صنعة عمن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع المحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأنّ ماثبت قدمه استحال عدمه ، وأنه حكيم ، لأنّ آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ماخلق منافع لبنى آدم سخر لهم مافى السموات ومافى الأرض وأكثر مايأتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أنّ التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية إثبات لنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أنّ القرآن جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوّة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أنّ الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لاريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشريف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشراف العباد ولله در القائل : —

لاتدعنى إلا بياعبدها ۝ فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يراد به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ماأنزلناه وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أوأعوانكم أومن يشهد لكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه فى المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ فى التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة) (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشرى هذا لأنه أفخم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابها) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحيي) تأول قوم : أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله حيي كريم يستحى من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً » (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلين المتقدمين فى المنافقين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا مابعوضة) إعراب بعوضة مفعول بيضرب ، ومثلا حال ، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان ، أو هما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وما صفة للنكرة أو زائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ماشاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءبها من عندالله (ماذا أرادالله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون مامبتدأ وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعلَمُ مَالَا تَعلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنبِـُٔونِى بِأَسمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا سُبحَٰنَكَ لَا عِلمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنبِئهُم بِأَسمَآئِهِم فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسمَآئِهِم قَالَ أَلَم أَقُل لَّكُم إِنِّيٓ أَعلَمُ غَيبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَأَعلَمُ مَا تُبدُونَ وَمَا كُنتُم تَكتُمُونَ ۝ وَإِذ قُلنَا لِلمَلَٰٓئِكَةِ اسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبلِيسَ أَبَىٰ وَٱستَكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَٰفِرِينَ ۝ وَقُلنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسكُن أَنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ وَكُلَا مِنهَا رَغَدًا حَيثُ شِئتُمَا وَلَا تَقرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيطَٰنُ عَنهَا

كان فى الأرض جن فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم ، فقاس الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو فى موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك ، وتكون اللام فى لك للتعليل أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أى نطهرها لك (مالا تعلمون) أى ما يكون فى بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الأسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء لتسمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبئونى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم إن الخليفة يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين فى جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لا علم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقبلة (فسجدوا) روى أن من أول من سجد إسرافيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له فى أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة التين ، وقيل الحنطة ، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فأزلهما) متعد من أزل القدم ، وأزالهما بالألف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا ﴿فائدة﴾ اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى « فنسى ولم نجد له عزما » وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر ، وقيل تأول آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ
آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن
تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو فى مدة الحياة ، وقيل فى بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) ما يتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أى أخذ وقيل على قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هى قوله : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها فى الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا) كرر ليناط به مابعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثانى لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع) شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بنى إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم : دعا بنى إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التى عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهى : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ، وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر لكم خطاياكم ، وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتى عشرة عينا . وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسكم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزا من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهى : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرفون الكلم ويقولون هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغلولة (نعمتى) اسم جنس فهى مفردة بمعنى الجمع ، ومعناه عام فى جميع النعم التى على بنى إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم به كالمن والسلوى ، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعا (بعهدى) مطلق فى كل ما أخذ عليهم من العهود وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوى لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞

(وإياى) مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياى فاتقون (بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) أى مصدقا للتوراة ، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم فى الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب ، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما فى كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم فى الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحة الكفر فى ثانى حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا : الاشتراء هنا استعارة فى الاستبدال : كقوله : اشتروا الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ما ينتفعون به فى الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل مازادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهى ، أو منصوب بإضمار أن فى جواب النهى ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأن العطف يقتضى النهى عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنما يقتضى النهى عن الجمع بين الشيئين لا النهى عن كل واحد على انفراده (وأنتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتوا الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول فى الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التى فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تقريع وتوبيخ لليهود (بالبر) عام فى أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ، ويخالفون فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تنسون) أى تتركون ، وهذا تقريع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بهما على مصائب الدنيا ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝ وَإِذۡ فَرَقۡنَا

ركعتين وقرأ الآية ، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة ، وقيل الصبر هنا الصوم ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التى تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (لكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه مّاهو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لاتجزى) لاتغنى وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، والجملة فى موضع الصفة ، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ليس نفى الشفاعة مطلقا فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وإنما المراد أنه لايشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » ولقوله «مامن شفيع إلا من بعد إذنه » ولقوله « ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له » وانظر ماورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعة فيقال له : اشفع تشفع . فكل ماورد فى القرآن من نفى الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأنّ المطلق يحمل على المقيد ، فليس فى هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأنّ النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجينا كم) تقديره اذكروا إذ نجينا كم أى نجينا آباءكم ، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذرّيتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم ، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء ، ومن ذكر مساويهم لأنّ ذرّيتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله ، وحذف لدلالة المعنى ، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لاقرابته خاصة ، ويقال إنّ اسمه الوليد بن مصعب ، وهو من ذرّية عمليق ، ويقال فرعون لكل من ولى مصر ، وأصل آل : أهل ، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ماذكره فى هذه الصور من الأخبار معجزات للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به ، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا ، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك ، وعطف لاختلاف اللفظة ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل (١) وقيل إنّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذرّيته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك ، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن ، وقيل بل وكل على ذلك القوابل ، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا على عدد

---

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطة وهى : « أنه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل » — كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ
مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ
فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة ، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هى شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالى بالذكر لأن العام بها والأيام تابعة لها ، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً ، فحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل ، وهو صفة للتوراة ، عطف عليها لاختلاف اللفظ ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر ، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان ، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا كقوله «سلموا على أنفسكم» وروى أن من لم يعبد العجل قتل من عده وروى أن الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم ، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه ، وهو نحوى الخطاب أى ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن نؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عيانا (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم ، وجراءتهم على الله ، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظله يقيهم حر الشمس ، وكان ذلك فى التيه ، وكذا أنزل عليه فيه المن والسلوى تقدم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس ، وقيل أريحاء ، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب ، لأن الأكل بعد الدخول ، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا ، لأن الدخول لا يتأتى معه السجود ، وقيل متواضعين (حطة) تقدم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجرا إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة ، وروى : حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين ، وضع الظاهر موضع

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞

المضمر لقصد ذمهم بالظلم، وكرره زيادة فى تقبيح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا فى التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا فى ذراع: تفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل هو جنس غير معين، وذلك أبلغ فى الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسلوى، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم، وقيل الحنطة (أدنى) من الدنىء الحقير وقيل أصله أدون، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام. والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها، وألزموها وجعله الزمخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الناقة، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معلوم أنه لا يقتل نبى إلا بغير حق، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفى. لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيدا للأول، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر، والباء للتعليل. أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية: قال ابن عباس نسختها «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام. فلا نسخ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا نسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوه فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ
فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
النَّاظِرِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أوخبر ثان، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعلة وهى المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وماتأخر، وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا (أتتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك) أى بين ماذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة، وقيل سوداء وهو بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط، وهو بعيد (فاقع) شديد الصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها، وقيل لسمنها ومنظرها كله (لاذلول) غير مذللة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفى على الأصح (ولا تسقى الحرث) لايستقى عليها (مسلمة) من العمل أومن العيوب (لاشية) لالمعة غير الصفرة، وهو من وشى فقاؤه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق، وقيل العامل فيه مضمر تقديره الآن تذبحوها، والأول أظهر فإن كان قولهم: أتتخذنا هزوا: هكذا؛ فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أولغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا أو لقلة وجود تلك الصفة، فقد روى أنهم لوذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزمخشرى إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ما كنتم تكتمون) من أمر القتيل ومن قتله (اضربوه) القتيل أوقريبه (ببعضها) مطلقا، وقيل الفخذ وقيل اللسان، وقيل الذنب (كذلك)

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ

إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لابد منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل ﴿فائدة﴾ استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني ، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة ، وقصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك (قست قلوبكم) خطاباً لبني إسرائيل (من بعد ذلك) أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب ، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشد ، وأوهنا إما للإبهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة كالحديد ، أو التفضيل أي فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبئ منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أي يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا) يعني اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا) قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم) توبيخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم به عند ربكم) قيل في الآخرة وقيل أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من بقية كلامهم توبيخا لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أي الذين لا يقرؤن ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ، لأن الكلام كله من اليهود (إلا أماني) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وما تتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق لافترائهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أو هي الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ
أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

معدودة) أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام (تخذتم) الآية : تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق لطول مكثهم فى النار ولقولهم مالا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : فى الكفار لأنها رد على اليهود ، ولقوله بعدها « والذين آمنوا » فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة فى النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهى ، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن (وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القربى) القرابة (اليتامى) جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان : من فقد أمه ، وجاء الترتيب فى هذه الآية بتقديم الأهم ، فقدم الوالدين لحقهما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) لا يسفك بعضكم دم بعض ، وإعرابه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالا لازمة ثم بها المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئ بالألف وحذفها والمعنى واحد ، وكذلك أسارى بالألف وحذفها جمع أسير (وهو محرم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحرم خبره ، والجملة خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما فى كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل والإخراج من الديار مخالفة لما فى كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ

من بعده بالرسل) أى جئنا من بعده بالرسل ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الأول (بالبينات) المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يحيى به الموتى ، والأول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أيده بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعا مبالغة لأنه أبد استحضاره فى النفوس أولأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا أن الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) ردا عليهم ، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلا) أى إيمانا قليلا (مايؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والسين على هذا للمبالغة كما فى استعجب واستسخر ، وعلى الأول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا) القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جوابا لما الأولى والثانية ، وأعيدت الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جوابا لما الثانية ، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أوللجنس ، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمر وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء : بئسما مركب كحبك وقال الكاسى مامصدرية أى اشتراكهم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا) فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم إنما كفروا حسدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم العجل ، أو لقولهم عزير ابن الله ، أولغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراءه) أى بما بعده

بالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيب لهم ، وذكر الماضى بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدح فى إيمانهم وجوابها يدل عليه ماقبل ، أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات : كالعصا ، وفلق البحر ، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه ألزم لهم ، والإبطال بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا ، وكذلك رفع الطور ، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله « ثم عفونا عنكم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته » وعطفه بثم فى الموضعين إشارة إلى قبح مافعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام : أى من بعد غيبته فى مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال ، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم ، فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ فى الصواب وفى الكلام محذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته فى الماء فشربوه ، فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله فى قلوبهم (بكفرهم) الباء سببية للتعليل ، أو بمعنى المصاحبة (بأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم ، فهو مجاز على وجه التهكم ، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفى (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة ، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت ، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، وقيل إن ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن يتمنوه) إن قيل : لم قال فى هذه السورة : ولن يتمنوه ، وفى سورة الجمعة : ولا يتمنونه فنفى هنا بلن ، وفى الجمعة بلا ، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، الجواب أنه لما كان الشرط فى المغفرة مستقبلا وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التى تخلص الفعل للاستقبال ، ولما كان الشرط فى الجمعة حالا ، وهو قوله إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا : التى تدخل على الحال ، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم وكفرهم (عليم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون عطفا على ماقبله فيوصل به ، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم فى عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا ، والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ماقبله ، والمعنى : من الذين أشركوا قوم (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) فحذف الموصوف ، وقيل أراد به المجوس ، لأنهم يقولون لملوكهم عش

يَعْمَلُونَ ۞ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۞ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ
اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو فى اليهود ، وعلى الثانى يخرج الكلام عنهم (وماهو بمزحزحه) الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوا لجبريل) الآية : سببها أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، جبريل عدو نا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فلذلك لا نؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإن الله نزل جبريل ، والآخر فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأن قوله مصدقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الرد على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوا لجبريل فلا ينبغى له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله وهدى وبشرى ، والثانى من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل) ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أوكلما) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم) نزلت فى مالك بن الصيف اليهودى وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدمين (ماتتلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه إليه ، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرا ، وقيل إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام (وما أنزل) نفى أو عطف على السحر عليهما ، إلا أن ذلك يرده آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين «بكسر اللام» وقال الحسن : هما علجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (ببابل) موضع معروف (هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا (يفرقون) زوال العصمة

به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ۞ ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ۞ يأيها الذين ءامنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب أليم ۞ مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم ۞ ماننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ۞ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ۞ أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمن فقد ضل سوآء السبيل ۞ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمنكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم

أو المنع من الوطء (يضرهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أى لأثيبوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضعين نفى لعلمهم (لاتقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرنا ، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء ، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ماقصده المسلمون وقصده اليهود ، فالنهى سدا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على قولوا لا على معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (مايود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لايحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من خير) من للتبعيض ، وقيل زائدة لتقدم النفى فى قوله مايود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة وللعموم أولى ، ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (ماننسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون : أى نأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينسأها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله كقوله « سنقرؤك فلا تنسى إلا ماشاء الله» أو بمعنى الترك : أى نتركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير : أى نؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلا ، وواقع شرعا فكما نسخت شريعتهم ماقبلها ، نسخها مابعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبيه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ود كثير من

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حيّ بن أخطب وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين ، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع الحال ، والعامل فيه ماقبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدا ، فعلى هذا يوقف على ماقبله ، والأول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيود (فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتالهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا) يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفت منه ياهودا على غير قياس (أمانيهم) أكاذيبهم أو مايتمنونه (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ، وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) إيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا (من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت اليهود) الآية : سببها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله) لفظه الاستفهام ومعناه : لا أحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحج بعد هذا العام مشرك ، وفى حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ماتوجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى ماقبلها : أى إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ، فهى كقوله بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية » والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَافِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ

أخطأ القبلة ، فلاتجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنا رضاه كقوله « ابتغاء وجه الله» أى رضاه ، وقيل معناه الجهة التى وجهه إليها ، وأماقوله « كل شيء هالك إلاوجهه ، ويبقى وجه ربك» فهومن المتشابه الذى يجب التسليم له من غير تكييف ، ويرد علمه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أوعن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية رد عليهم لأن الكل ملكه ، والعبودية تنافى النبوّة (قانتون) أى طائعون منقادون (بديع السموات) أى مخترعها وخالقها ابتداء (واذا قضى أمرا) أى قدره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد فى الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر فى الأزل وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لايكون قضى هنا بمعنى قدّر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أوفعل أووجد كقوله : فقضاهنّ سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشيء ، وهوواحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون: هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقى لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء فى حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا فى حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشيء الذى يقول له كن فيكون هو موجود فى علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثانى : أن قوله كن لا يتقدّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبرى ، والثالث : أنّ ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى : كاحياء الموتى ، ومسخ الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقول له : يقول من أجله ، فلا يلزم خطابه : والأول أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد فى هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها ، فكل مافى الآية مما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستئناف ، قال سيبويه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبرى ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود ، وفى هذا نظر (وقال الذين لا يعلمون) هم هنا وفى الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن نؤمن حتى يكلمنا الله (أو تأتينا آية) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ومابعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب ، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لا يعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم فى الكفر أوفى طلب

الْجَحِيمِ ۝ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم (إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ماجاءت به الشريعة (بشيرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ، وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آبائه فى الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك : لا تسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لا تسأل فى القيامة عن ذنوبهم (ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان فى الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى الله) لا ما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يامحمد هو الهدى الحقيقى لأنه هدى من عند الله بخلاف مايدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ماهم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يابنى إسرائيل) الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمر تقديره اذكر ، وقوله (بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، ونتف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ، وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فأتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتى)

مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدى) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالكسر إخبار لهذه الأمة ، وافق قول عمر رضى الله عنه : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتى ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعد به حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرا بيتى) عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ، وقيل أهل مكة ، والعكوف فى اللغة اللزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى مما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال فى البقرة «بلداً آمنا» فعرف فى إبراهيم ، ونكر فى البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم فى البقرة ذكر البيت فى قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضى ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهيلى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور : كقولك : هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفى هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلداً آمنا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنا دعوة أبى إبراهيم» والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ اهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ

هنا القرآن (والحكمة) هناهى السنة (ويزكيهم) أى يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على التشبيه بالمفعول به ، وقيل الأصل فى نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تميز (وأوصى بها) أى بالكلمة والملة (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم ، فهو موصى ، وقرئ بالنصب عطفا على بنيه فهو موصى (أم كنتم) أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار ، وإسماعيل كان عمه ، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لانفرق) أى لا نؤمن بالبعض دون البعض ، وهذا برهان ، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبى ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض (فسيكفيكهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أى دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره ، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعانى المتقدمة أوبدل من ملة إبراهيم (كتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه ، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية : ردّا عليهم لأنّ الله يحكم مايريد ، ويولى عباده حيث شاء ، لأنّ الجهات كلها له (وكذلك) بعد ماهدينا كم (جعلناكم أمّة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم ، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى : وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية ، فإن قيل : لم قدّم المجرور فى قوله عليكم شهيداً وأخره فى قوله : شهداء على الناس ؟ فالجواب : أنّ تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدّم المجرور فى قوله : عليكم شهيداً ؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأمّته ولم يقدّمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان : أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس . والآخر : هو بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسدّى . وهذا مع ظاهر قوله : كنت عليها ؛ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة ، وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين : الأول : أنّ كنت بمعنى أنت ، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس ، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا ، أوصفة للقبلة ، ومعنى الآية على القولين : اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة ، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة ، أو فتنة لمن أنكر تحويلها ، وتقديره على هذا : ماجعلنا صرف القبلة ، أمّا على قول ابن عباس : فإنّ الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود ؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس ، وهم مع ذلك ينكرون النسخ ، فأنكروا صرف القبلة ، أوفتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما علمه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام ، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحوّل عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إنّ الأعمال من الإيمان ، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأنّ

اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞
وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞
كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ فَاذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة فى وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابنى لأن ابنى قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاه الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به مابعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس . ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولأتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لأتم ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لأتم ، أو بقوله فاذكرونى ، والأول أظهر (فاذكرونى أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكرونى بالطاعة : أذكركم بالثواب ، وقيل اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ : ذكرته فى ملأ خير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد فى بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل الذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً : لكان الذاكر أفضل منه (الوجه الثانى) أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أثنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكرا كثيرا ، والذاكرين الله كثيرا ، ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال (الوجه الثالث) أن للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمعية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ومابين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب .

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لامحالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذكر المفرد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينه لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ، ولا يخصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم فى الشهداء (ولنبلونكم) أى نختبركم ، وحيث ماجاء الاختبار فى حق الله فمعناه أن يظهر فى الوجود مافى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ماكان ومايكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشىء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجدب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للملك والمالك يفعل فى ملكه مايشاء (راجعون) تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجى أبو سلمة قلت ذلك فأبدلنى الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن فى أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه فى الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لايحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال « والله يحب الصابرين » والثانى : النصر قال « إن الله مع الصابرين » والثالث غرفات الجنة ، قال « يجزون الغرفة بما صبروا » والرابع الأجر الجزيل قال « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » والأربعة الأخرى المذكورة فى هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال « وبشر الصابرين » والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصى بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل مايفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أى معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعى بين الصفا والمروة والسعى بينهما واجب عند مالك والشافعى ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعى بينهم ، لأنه كان فى الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعى بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ماوقع فى نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعى بينهما للسنة ، قالت عائشة رضى الله عنها ، سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعى بين

وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفا والمروة ، وليس لأحد تركه ، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله» وهذا ضعيف لأن شعائر الله : منها واجبة ، ومنها مندوبة ، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر ، وخاصة في الوجوب من السنة أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب) التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون ، وقيل المخلوقات إلا الثقلين ، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب الكاتمين للحق (وبينوا) أي شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين ، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أي في اللعنة ، وقيل في النار (ولا هم ينظرون) من أنظر إذا أخر ، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله « لا ينظر إليهم » إلا أن يتعدى بإلى (وإلهكم إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى : أحدها : أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد ، والآخر أنه لا شريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم ، وقد فسر المراد به هنا في قوله : لا إله إلا هو ، واعلم أن توحيد الخالق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا ، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد . الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى كأنها عنده معدومة ، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبيها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله : وإلهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر ، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۞ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ، وللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لايخلو منها كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ، وهى أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل مايستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته البالغة وصنائعه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده . واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أو لعلموا أن القوة لله ، والقوى بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ، ولاستعظموا ماحل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى (الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ
عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أوماعملوا لآلهتهم (كلوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما فى الأرض أومفعول بكلوا أوصفة لمفعول محذوف أى سيئا حلالا (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) مايأمر به، وأصله من خطوت الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كان آباؤهم) ردا على قولهم: بل نتبع الآية فى كفار العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لايعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية: فى معناها قولان: الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولابد فى هذا من محذوف، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا الى الإيمان (كمثل الذى ينعق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لاتسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذى ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذى يزجرها وهو يصيح عليها، الثانى: تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لايسمع لأن الأصنام لاتسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منعطف: أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أوالنداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالنعق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية: دليل على وجوب الشكر لقوله «إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافى من الحوت، ومنعه أبوحنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسيب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام، ولاخلاف فى إباحة ماخالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين، وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِى الْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصى بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعى للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للحرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازه الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتمون) اليهود (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار فى جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار فى الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام لخفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للمصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبلة اليهود ، والمشرق قبلة النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البرّ برّ من آمن أو يكون البر مصدراً وصف به (وآتى المال) صدقة التطوع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجح من طريق المعنى ، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (والموفون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والعابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

إِذَا عَٰهَدُوا ۖ وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ۖ الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) فى القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص) أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأن ولى المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى الحاكم التمكين من القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل والمقتول فى الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياءها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك وللشافعى وأبو حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبى حنيفة خلافا لمالك والشافعى، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشىء من ظاهر الآية لا فى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها فى الحرية كما فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيداً للتجديد، لأن بعض العرب إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حر بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف. لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان: أحدهما أن المعنى من قتل منفى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه. وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع المعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته، وعفى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ما تيسر، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف) إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) بمعنى قولهم القتل أبقى للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان فى الجاهلية من اقتتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة (الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى

« لا وصية لوارث » وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأول أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذى كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويبعد انتصابه بتتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفى الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر ، وإن صام فى رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس فى الآية مايقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده فى مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة فى مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل فى شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن فى فلان وقيل المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر فى السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكملوا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدة) الأيام التى أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أجيب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مَاهَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ

وموافقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة (فليستجيبوا لى) أى امتثال مادعوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرّما بعد النوم فى ليل رمضان ، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفا على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدى بإلى لأنه فى معنى الإفضاء (هن لباس لكم) تشبيه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أى تأكلون وتجامعون بعد النوم فى رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أى غفر ماوقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهن) إباحة (ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع ، وقيل الرخصة فى الأكل والجماع لمن نام فى ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأن الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأن بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أى إلى أول الليل ، وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأفطر ، فعليه القضاء والكفارة أيضا وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك فى الحديث (ولا تباشروهن) تحريم للمباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (فى المساجد) دليل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد ؛ خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا فى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى المساجد لا فى غيرها خلافا لمن أجازه فى غيرها من مفهوم الآية (حدود الله) أحكامه التى أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أى لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سد الذرائع لأن المقصود النهى عن المخالفة للمحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدا للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغير ذلك (وتدلوا) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَأَنْفِقُوا فِي

الأول سببية ، وعلى الثانى للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للمصاحبة ، والإثم على القول الأول فى تدلوا : إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثانى الرشوة (يسألونك عن الأهلة) سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل فى المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شىء فنزلت الآية إعلاما بأن ذلك ليس من البر ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى) تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح فى أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار فى قوله « قاتلوا المشركين كافة » (اقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثانى (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة ، لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم فى الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فاسلموا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لما صد الكفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية فى شهر ذى الحجة ، فدخلها فى العام الذى بعده فى شهر ذى القعدة أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن دخولها (والحرمات قصاص) أى حرمة

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صددتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم ، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد ، وقيل لا تتركوا النفقة فى الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك ، والباء فى بأيديكم زائدة ، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إتمامهما إكمال المناسك وقال على إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة ؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور فى اللغة أحصره المرض بالألف ، وحصره العدو وقيل بالعكس ، وقيل هما بمعنى واحد ، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة ، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على من حصره العدو ، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو ، وعمل الآية على ذلك ، واستدلا بنحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية ، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) خطاب للمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية : نزلت فى كعب بن عجرة حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هوام رأسك : احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة ، فمعنى الآية أن من كان فى الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر : جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر فى الحديث ، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التى يمنع الحاج منها إلا الصيد ، والوطء ، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس ، ولا بد فى الآية من مضمر لا ينتقل الكلام عنه ، وهو المسمى فحوى الخطاب ، وتقديرها : فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك ، ومن العدو على قول غيره ، والمعنى : إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره : هو أن يعتمر الإنسان فى أشهر الحج ، ثم يحج من عامه ، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة ، وقال عبد الله بن الزبير : التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج ، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه ، ثم يحج من قابل قضاء لحجته ، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج فى وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل ، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام فى الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو فى الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة ، ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة ، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا ، وقيل كاملة فى الثواب (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۞ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

وذى طوى بإجماع ، وقيل أهل الحرام كله ، وقيل من كان دون الميقات ، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى أو الصيام : أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة ، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر ، أو الحج فى أشهر وهى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، وقيل العشر الأول منه ، وينبنى على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة : فعليه دم على القول بالعشر الأول ، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر ، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر ، فأجازه مالك على كراهة ، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث : الجماع ، وقيل الفحش من الكلام ، والفسوق : المعاصى ، والجدال : المراء مطلقا ، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج ، وقيل النسىء الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احملوا زادا فى السفر ، وقيل تزودوا للآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى ، وقرأ ابن عباس : فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضتم) اندفعتم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للموقف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف ، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة ، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ، ويقفون بعرفة مع سائر الناس ؛ لأنها حل ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له ، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس ، ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى فتم على هذا القول على بابها من الترتيب ، وأما على القول الأول فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة ، قال الزمخشرى هى كقولك أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلى غير كريم ، فإن معناها التفاوت بين ماقبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذكركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا مايذكر آباءه ، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة ، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

فى الدُّنيا حَسَنَةً وفى الآخرة حَسَنَةً وقِنا عَذابَ النَّارِ ۞ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فى السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى لهم نصيب من الحسنات التى اكتسبوها ، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان : أحدهما أن يراد به سرعة مجىء يوم القيامة ، لأن الله لا يحتاج إلى عدّة ولا فكرة ، وقيل لعلىّ رضى الله عنه : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (فى أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر ، وهى أيام التشريق ، والذكر فيها : التكبير فى أدبار الصلوات ، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل فى يومين) أى انصرف فى اليوم الثانى من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار ، وأما المتعجل فقيل يترك رمى جمار اليوم ، وقيل يقدمها فى اليوم الثانى (فلا إثم عليه) فى الموضعين ، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر ، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج ، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : الإباحة ، فالمعنى أن الإباحة فى التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ، فقد أبيح له ذلك من غير إثم ، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : إخبار بغفران الذنوب ، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله فى حجه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية : قيل نزلت فى الأخنس بن شريق ، فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا ، وقيل فى المنافقين ، وقيل عامة فى كل من كان على هذه الصفة (فى الحياة) متعلق بقوله يعجبك : أى يعجبك ما يقول فى أمر الدنيا ، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد الخصومة (تولى) أدبر بجسده أو أعرض بقلبه ، وقيل صار واليا (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها فى الأخنس ، فإهلاك الحرث حرقه الزرع ، وإهلاك النسل قتله الدواب ، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته فى الفساد ، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل ، لأنهما قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة بالإثم) المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع . وقال الزمخشرى : هى كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا : أى ألزمهم إياه ، فالمعنى حملته العزة على الإثم (من يشرى نفسه) أى يبيعها ، قيل نزلت فى صهيب وقيل على العموم وبيع النفس فى الهجرة أو الجهاد ،

الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ

وقيل فى تغيير المنكر ، وأنّ الذى قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول فى الإسلام ، وقيل إنها نزلت فى قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا فى الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول فى جميع شرائعه من الأوامر والنواهى (كافة) عموم فى المخاطبين أو فى شرائع الإسلام (فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتيهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله فى الآخرة ، أو أمره فى الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأنّ قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم : لولا يكلمنا الله (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما علاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحجة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأنّ الجنة فى السماء (يرزق من يشاء) إن أراد فى الآخرة ، فمن كناية عن المؤمنين ، والمعنى ردّ على الكفار أى إن رزق الله الكفار فى الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون فى الآخرة وإن أراد فى الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعدلهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أنّ رزقهم فى الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضييق (أمة واحدة) أى متفقين فى الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلفوا بعد اتفاقهم ، ويدل عليه « أمة واحدة » فاختلفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبىّ وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشرى : يعود على

فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

الحق ، وأما الضمير فى أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير فى اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم فى الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن فى قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ماوقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لاتدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ماأصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبرعنه بالمثل لأنه فى شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فللوالدين والأقربين) إن أريد بالنفقة الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم فى الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق فى قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم فى الأمكنة لا فى الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال فى الشهر الحرام : أى إباحته حسبما استقر فى الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان فى أول الإسلام من تحريم القتال فى الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال فى الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل فى أول يوم

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ
فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ
وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردوكم) قال الزمخشرى حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعى إلى أنه لايحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فيمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفى ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت فى عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح فى لحم الجزور ، ثم يدخل فى ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (إثم كبير) نص فى التحريم وأنهما من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية (ومنافع) فى الخمر التلذذ والطرب ، وفى القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أى السهل من غير مشقة ، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال ، على أن يكون ما مبتدأ ، وذا خبره (تتفكرون فى الدنيا والآخرة) أى فى أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا ، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع فى أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لأعنتكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلكم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تنكحوا) أى لا تتزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطء والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن فى المائدة ، فلا تعارض بين الموضعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ۖ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لمن قال آية المائدة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات ، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولأمة مؤمنة) أى أمة لله حرة كانت أومملوكة وقيل أمة مملوكة خيرمن حرة مشركة (ولو أعجبتكم) فى الجمال والمال وغيرذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لاتزوجوهم نساءكم ، وانعقد الإجماع على أن الكافر لايتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله « ولا تنكحوا المشركين» لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (بإذنه) أى بإرادته أوعلمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشروأسيد بن حضيرقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى المحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لتشد عليها إزارها ، وشأنك بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قيل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لاأين شئتم لأنه يوهم الإتيان فى الدبر ، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لأيمانكم) أى لاتكثروا الحلف بالله فتبذلوا اسمه ، وأن تبروا على هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتم عن كثرة الحلف كى تبروا ، وقيل المعنى لاتحلفوا على أن تبروا وتتقوا ، وافعلوا البرّ والتقوى دون يمين ، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له ، وقيل عرضة مامنع ، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا ، أى لاتمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لاينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها بمعنى مانع (باللغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وقافا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ
مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝
وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعي ، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ماحلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أي قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي (يولون من نسائهم) يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل في عموم قوله الذين : كل حالف حرا كان أو عبدا ، إلا أن مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعي ، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل مايلزم عنه حكم ، خلافا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولا يكون موليا عند مالك والشافعي ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعي ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن أبى الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاؤا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر ، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . واليائسة والصغيرة بقوله : واللائي يئسن من المحيض الآية . والتي لم يدخل بها بقوله : فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها في المدخول بها ، وهي سن من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرءين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري ، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة: الأقراء هي الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها (ماخلق الله في أرحامهن) يعني الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (في ذلك) أي في زمان العدة (ولهن مثل الذي عليهن) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) في الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان لعدد الطلاق الذى يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذى يجوز إيقاعه ، وهو طلاق السنة (فإمساك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) هو تركها حتى تنقضى العدّة فتبين منه (بإحسان) المتعة ، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين ، وروى فى ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأنّ قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة ، وعلى ذلك يكون تكرارا ، والطلقة الرابعة لا معنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية : نزلت بسبب ثابت بن قيس : اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أترديّن عليه حديقته قالت نعم فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج فى حكم الفدية ، وهى الخلع ، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما ، ثم إنّ المخالعة على أربعة أحوال : الأوّل : أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة : فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى : فإن طبن لكم عن شىء الآية . ومنعها قوم لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثانى أن يكون الضرر منهما جميعا ، فمنعه مالك فى المشهور لقوله تعالى : ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ ، وأجازه الشافعى لقوله تعالى «إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله» والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة ، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية ، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة : فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ، وأجازه أبو حنيفة مطلقا ، وقوله فى ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين فى هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هى الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين فى قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر : لا ، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء ، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث ، وخرقه للإجماع ، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه ، والوطء مباحا فى غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام ، خلافا لابن الماجشون فى الوطء غير المباح ، وأما نكاح المحلل فحرام ، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافا لأبى حنيفة والمعتبر فى ذلك نية المحلل لا نية المرأة ، ولا المحلل له ، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعنى هذا الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوجة والزوج الأوّل (أن يقيما حدود الله) أى أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية : خطاب للأزواج ، وهى نهى عن أن يطول الرجل العدّة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدّة ، ثم يطلق بعد ذلك ، ومعنى بلغن أجلهنّ فى هذا الموضع : قاربن انقضاء العدّة ، وليس المراد انقضاؤها ، لأنه ليس

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ
إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ
وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهنّ : راجعوهنّ (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعوهن (أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلى نزلت فى معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أرادمراجعتهاوأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله وذلك أنّ رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أرادمراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك بها لا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العدل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق الولى فى نكاح وليته خلافا لأبى حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى الآية حكمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فمذهب مالك أنّ المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت فى عصمة والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال : لزمها رضاعه فى المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ، لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر فى هذه الآية عندهما على الندب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها فى موضع على الوجوب ، وفى موضع على الندب ، وفى موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم فى المذهب الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها فى قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال فى حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصالا الآية ، فإن لم يكن على الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشري وابن العربي ، الثاني : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطي : هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أي على قدر حال الزوج في ماله ، والزوجة في منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضار والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهي ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ما قبل الآخر مكسوراً قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف في الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبي لو مات ، وقيل هو الصبي نفسه ، وقيل من بقي من أبويه ، واختلف في المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجري مع كل قول في الوارث ؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع في النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث ، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال ؛ لأن أجرة رضاعه في ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصري (وإن أردتم أن تسترضعوا) إباحة لاتخاذ الغير (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أي دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم في كل متوفى عنها ، سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها وضع حملها ، سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء ، وقال علي بن أبي طالب : عدتها أبعد الأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فيما فعلن في أنفسهن) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : إباحة

عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا
إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۬ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ
أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟
لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِن
طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة ، ويقتضى ذلك النهى عن التصريح ، ثم أباح ما يضمر فى النفس بقوله : أو أكننتم فى أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونهن) أى تذكرونهن فى أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أى ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أى لا تواعدوهن فى العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة ، وقال مالك فيمن يخطب فى العدة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إلىّ ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ما أبيح من التعريض : كقوله إنكم لأكفاء كرام ، وقوله إنّ الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا : القدر الذى شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة فى عدتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافا للشافعى وأبى حنيفة واختلف عن مالك فى تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظنّ قوم أنّ من طلق قبل البناء وقع فى المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك ، وقيل إنها فى بيان ما يلزم من الصداق والمتعة فى الطلاق قبل الدخول ، وذلك أنّ من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك فى نكاح التفويض : فلا شىء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم بشىء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ومتعوهنّ ، وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأنّ المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، أو فيه بمعنى الواو (ومتعوهنّ) أى أحسنوا إليهنّ ، وأعطوهنّ شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعى (على الموسع قدره) أى يمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتر) الضيق الحال ، وقرئ بإسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبالمعروف هنا : أى لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعى فى وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالندب فى قوله على المحسنين، لأنّ الإحسان تطوع بما لا يلزم (وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ) الآية : بيان أن المطلقة قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أى للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذى بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجورة، والسيد فى أمته ، فيجوزله أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى: الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قيل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتناءً بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند علىّ بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أو لتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجليه (أو ركبانا) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك فى صلاة المسايفة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمنتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك صية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ،أو مضمر تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعا نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينة (وللمطلقات

مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن
بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

متاع) عام فى إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعنة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهى الإحسان للمطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بنى إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شىء ، وقيل بل فروا من الطاعون (وهم ألوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إماتتهم ، وقيل إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذى يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت فى أبى الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أى خالصا طيبا من حلال من غير منّ ولا أذى (فيضاعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب فى جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب فى الإنفاق (ألم تر إلى الملإ) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن فى القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبى لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أى قاربتم ، وأراد النبى المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز فى السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملكهم ، وقال السدى أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو فى قوله ونحن واو الحال والواو فى قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة فى العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتى ملكه من يشاء) رد عليهم فى اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع فى البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته فى دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينة) قيل ريح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هى عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعنى أقاربهما ، قال الزمخشرى يعنى الأنبياء من بنى إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الآل (فصل طالوت) أى خرج من موضعه إلى الجهاد (بنهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم فى الغرفة باليد ، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أى يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود فى جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بنى إسرائيل ، وفى ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعلمه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منة على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالألف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص فى التفضيل فى الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلونى

مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإنّ معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أنا سيد ولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعناه مكانا عليا » فالرفعة على هذا فى المسافة وقيل هو مطلق فى كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبىّ لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره تأكيدا وليبنى عليه مابعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد فى ماله ، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق فى الدنيا ويدخل فيه نفى الفدية لأنه بشراء الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودّة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعة) أى ليس فى يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهو فى الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ماورد من نفى الشفاعة فى القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ماكان سياق الكلام فى أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة فى التهويل وحيث ماكان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم) هذه آية الكرسى وهى أعظم آية فى القرآن حسبما ورد فى الحديث ، وجاء فيها فضل كبير فى الحديث الصحيح وفى غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هى ابتداء النوم لا نفسه : كقول القائل « فى عينه سنة وليس بنائم » (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله فهى فى الحقيقة راجعة إليه (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله « له مافى السموات ومافى الأرض » والمعنى يعلم ماكان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد مابين أيديهم الدنيا ؛ وماخلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ماشاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شىء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤوده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه فى الدين) المعنى أن دين الإسلام فى غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، ويدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغى) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غى ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها الموادعة ، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشد الأيدى ، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمروذ الملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيى ويميت) فقال نمروذ : (أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأمت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه ؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول أرأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا المار قيل إنه عزير ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيى هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعاداً ولكنه استعظام لقدرة لذى يحيى الموتى ، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لا شك فى وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافراً وقالها إنكاراً للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيى هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخربها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته ، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب فى قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقى على حاله طول مائة عام ، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة ، لأن لامها هاء ، فتكون الهاء فى يتسنه أصلية . أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشيء إذا فسد ، ومنه الحمأ المسنون ، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفارى ثم حذف حرف العلة للجازم ، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقى حماره حيا طول المائة عام ، دون علف ولا ماء ، وقيل مات ثم أحياه الله ، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس ، وروى أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هى عظام نفسه ، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحييها ، وقرئ بالزاى ، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا ، وقرئ بألف وصل ، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية : قال الجمهور : لم يشك إبراهيم فى إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ، لأنه رأى دابة قد أكلها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ، ويدل على ذلك قوله : كيف ، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبى) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هى الديك ، والطاوس ، والحمام ، والغراب ، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل ، وأمسك رأسها بيده ، ثم قال : تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت ، وبقيت بلا رؤس ، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها فى رؤسها وطارت بإذن الله (فصرهن) أى ضمهن ، وقيل قطعهن على كل جبل ، قيل أربعة جبال ، وقيل سبعة ، وقيل الجبال التى وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (فى سبيل الله) ظاهره الجهاد ، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل ما يزرع ويقتات وأشهره القمح ، وفى الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر فى آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء فى الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عَلِيمٌ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۞
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ
أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ، والأول أرجح ، لأنه ورد فى الحديث مايدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت فى عثمان ، وقيل فى علىّ وقيل فى عبدالرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها ، والأذى السب (قول معروف) هو رد السائل بجميل من القول : كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الرد الجميل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة ، على العطاء الذى يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات فقالوا فى هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه ، وقيل إن المن والأذى : دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذى ينفق رياء وهو غير مؤمن (فمثله) أى مثل المرائى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة ، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب ، فبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرائى يظن أن له أجرا ، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرون) أى لا يقدرون على الانتفاع بثواب شىء من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبيتا) أى تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها يصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقة فى بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبيتا ، ولا يصح فى تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو ابتغاء (كمثل جنة) تقديره كمثل صاحب جنة أو يقدر ولا مثل نفقة الذى ينفقون (بربوة) لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية : مثل ضرب للانسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائى المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجة إليه لم يجد شيئا ، فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابتها الجائحة المهلكة ، أحوج ما كان إليها لشيخوخته ،

ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ
وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۞ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنْ أَنصَارٍ ۞ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۞ لِلْفُقَرَآءِ

وضعف ذريته ، قالوا فى قوله : وأصابه الكبر للحال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات مارزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الردىء ، فقيل إن ذلك فى الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل فى التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالردىء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الردىء (منه تنفقون) فى موضع الحال (ولستم بآخذيه) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتسامحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففى ضمن ذلك حض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما مايفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعما فى موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شيء إبداؤها (ليس عليك هداهم) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هداهم على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الانفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والانفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم

الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ
بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضلهم ، وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، ففي ذلك حض على الاخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الانفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (في سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول في الاسلام (ضربا في الأرض) هو التصرف في التجارة وغيرها (يحسبهم الجاهل أغنياء) أي يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهي ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لا يسألون الناس إلحافا) الإلحاف هو الإلحاح في السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون ، وقيل هو نفي السؤال والإلحاح معا وباقي الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت في علي فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت في علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أي ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا في اللغة الزيادة ، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم أتقضي أم تربي ، فكان الغريم يزيد في عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسيئة ، وربا التفاضل وكلاهما يكون في الذهب والفضة ، وفي الطعام . فأما النسيئة فتحرم في بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفي بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفي الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام ، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكيل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذي يصيبهم ، وإنما هذا للكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

الله وتحريمه (فله ماسلف) أى له ماأخذ من الربا، أى لايؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه فى الدنيا، وقيل الضمير عائد إلى الربا، والمعنى أن أمر الربا إلى الله فى تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية: يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول. إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود فى النار، لأن ذلك القول لايصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها فى الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه ويذهبه (ويربى الصدقات) ينميها فى الدنيا بالبركة، وفى الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية فى الكفار (وذروا مابقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا فى الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال فى خطبته كل ربا كان فى الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطالب الربا الذى كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الرباحوربتم ومعنى فأذنوا: اعلموا، وقرئ بالمد أى أعلموا غيركم، ولما نزلت قالت ثقيف لاطاقة لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لاتظلمون بأخذ زيادة على رءوس أموالكم، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذوعسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع، وقرئ ذا عسرة، أى إن كان الغريم ذاعسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه، ونظرة مصدر، معناه التأخير، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره، وباقى الآية وعظ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل بل قوله: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، الآية. وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تداينتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا فى تداينتم ليعود عليه الضمير فى اكتبوه وليزول الاشتراك الذى فى تداينتم، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لايجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد، لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة، قال ابن عباس: نزلت الآية فى السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير فى السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضكم بعضا» وقال قوم إنها على الندب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب، وعند الزمخشرى بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل، وإن كان الكاتب غير مرضىّ، وعلى الثانى يجب أن يكون الكاتب مرضياً فى نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها، عدل فى نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإباية، وهو يقوى الوجوب (كما علمه الله) يتعلق بقوله أن يكتب، والكاف للتشبيه أى يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل: أى ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها (فليكتب وليملل) يقال أملت الكتاب، وأمليته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفى قوله تملى عليه على الأخرى (الذى عليه الحق) لأن الشهادة إنما هى باعترافه، فإن كتب الوثيقة دون إملاله، ثم أقر بها جاز (ولا يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملى، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو) السفيه الذى لا يحسن النظر فى ماله، والضعيف الصغير وشبهه، والذى لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه (وليه) أبوه، أو وصيه، والضمير عائد على الذى عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان جائزة فى كل شىء إلا فى الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص فى رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعى لنقص الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال، وقال معنى الآية: إن لم يكونا أى إن لم يوجدا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان، فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين فى الأموال لا فى غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل، فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره: فليكن رجل، فهو فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين، وهو مشترط أيضا فى الرجلين الشاهدين، لأن الرضا مشترط فى الجميع وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقى الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل فى رجل وامرأتان والضلال فى الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله، وليس هو المراد، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا

وهو المراد ، فاقيم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء فى فتذكر ، ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد (ولا يأب الشهداء) أى لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها . وقيل إلى الأمرين (ولا تسأموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام المتقدم فى الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالنقد وغيره ، (تديرونها بينكم) يقتضى القبض والبينونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا، وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضكم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار، والمعنى على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «لا يضارر» بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب والشاهد بإذايتهما بالقول أو بالفعل (إن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله) إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تتعذر الكتابة فى السفر ، وقال الظاهرية : لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية . وأجازه مالك وغيره فى الحضر لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره ، لقوله تعالى «مقبوضة» ، وهو عند مالك شرط كمال لا صحة (فإن أمن بعضكم بعضا) الآية : أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، فللدين ثلاثة أحوال ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، ليكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتموا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه : قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية فى كتمان الشهادة ، وارتفع آثم بأنه خبر إن ، وقلبه فاعل به ، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ ، وآثم خبره ، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هى الآثمة ، لأن الكتمان من فعل القلب ، إذ هو يضمرها ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية : مقتضاها المحاسبة على مافى نفوس العباد من الذنوب ، سواء أبدوه أم أخفوه ، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله ، وفى ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لأمتى ماحدثت به أنفسها ، ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة : أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها ، فأنزل الله بعد ذلك : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فكشف الله عنهم الكربة ، ونسخ بذلك هذه الآية ، وقيل هى فى معنى كتم الشهادة وإبدائها ، وذلك محاسب به ، وقيل يحاسب الله خلقه على مافى نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين ، والصحيح التأويل الأول لوروده فى الصحيح ، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره ، فإن قيل : إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ، فالجواب : أن النسخ إنما وقع فى المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه ، فلفظ الآية خبر ، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزمهما عطفا على يحاسبكم ، برفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ماتقدم فى حديث أبى هريرة : لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية ، وقدم ذلك قبل كشف ماشق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثانى يوقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم فى الرسول والمؤمنون ، وإن كان مبتدأ فكل عموم فى المؤمنين ووحد الضمير فى آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أى كل كتاب أنزله الله ، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لانفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لانفرق ، والمعنى لانفرق بين أحد من الرسل وبين غيره فى الإيمان بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر ، والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك ، وقيل على المفعولية تقديره : نطلب غفرانك (وإليك المصير) إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد ، وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين (لايكلف الله نفسا إلا وسعها) إخبار من الله تعالى برفع تكليف مالا يطاق ، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة ، واتفقوا على أنه لم يقع فى الشريعة (لها ما كسبت) أى من الحسنات (وعليها ما اكتسبت) أى من السيئات ، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

فى الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعليها فى السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال فى الحسنات كسبت وفى الشر اكتسبت ، لأن فى الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد فى فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان فى الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أى قولوا ذلك فى دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان » وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكاليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق. أربعة أنواع : الأول عقلى محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثانى عادى كالطيران فى الهواء . والثالث عقلى وعادى : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف مايشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

سـورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا فى الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشرى هى حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم فى مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان